**تعريف الثقافة في اللغة**

استعمل العرب مادة (( ثَقِفَ )) للدلالة على معان عدة منها :

- الذكاء والفطنة وسرعة التعلم .
- استعمل لمجرد الإدراك والتمكن {{ واقتتلوهم حيث ثقفتموهم }} .
- ويستعمل في الدلالة على التهذيب والتأدب ، يقال : ( ثقَّف الغلامِ ) أي أدبه وهذبه .
- وكذلك للدلالة على الإصلاح والتقويم للأمورِ الحسية ، يقال ( ثقَّفت الرمح ) إذا أقمت عوجه .

❖ سؤال : في أي شيء تستخدم مادة (( ثَقِفَ )) في كلام العرب ؟؟

تستخدم مادة (( ثقف )) في لغة العرب للدلالة على الأمور المعنوية والحسية ، إلا أن استخدامها للأمور المعنوية أكثر .

**تعريف الثقافة في الاصطلاح**

تعددت تعريفات مادة (( ثَقِفَ )) في الاصطلاح ، ولم يتفق فيه على تعريف محدد ، وسنذكر هنا بعضاً منها :

- تعريف مجمع اللغة العربية : هي العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها .
- تعريف منظمة اليونيسكو : هي جميع السمات والروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعاً بعينه ، أو فئة اجتماعية بعينها ، وتشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة ، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات .

❖ سؤال : ما الفرق بين تعريف مادة (( ثَقِفَ )) في مجمع اللغة العربية و منظمة اليونيسكو ؟؟

الجواب : تعريف مجمع اللغة العربية ينصب على ثقافة الفرد من خلال إتقانه لمجموعة من العلوم والمعارف ، أما تعريف منظمة اليونيسكو فقد اهتم ببيان المعنى بالنسبة للمجتمعات والجماعات التي تتميز عن غيرها ببعض السمات .

الفرق بين الثقافة والعلم : هو من جهة كون العلم حقائق ثابتة لا تتغير بتغير المجتمعات والأزمنة ، بينما الثقافة مجموعة سمات تميز مجتمع عن غيره من المجتمعات ، فهي متغيرة بتغير الزمان والمكان .

الفرق بين الثقافة والحضارة : يمكن القول أن الحضارة هي عبارة عن مفهوم يشمل كلاً من ( الثقافة والعلم ) ، فباجتماعهما تتكون الحضارة ، وتعد الثقافة قاعدة الحضارة وأصلها ، والمُشَكِلة لتوجهاتها ، والحاكمة لغاياتها ، فإذا كانت ثقافة الأمة ثقافة صالحة في معتقداتها وأخلاقها وتشريعاتها وقيمها وموازينها ، كانت حضارتها حضارة سوية صالحة ، فنجدها ترتقي بعلومها وعمرانها وقوتها الاقتصادية والسياسية والعسكرية .

ان مصطلح الثقافة الإسلامية من المصطلحات الحديثة التي نشأت في عصرنا نتيجة تطور العلوم ، وتلاقح الثقافات ، وقد اختلف العلماء في تحديد هذا المفهوم ، والآراء في تحديد هذا المفهوم ترجع إلى ثلاثة اتجاهات :

1( الاتجاه الأول : يرى أن الثقافة الإسلامية تدور حول حياة الأمة الإسلامية ، ومن هنا عرف الثقافة الإسلامية على أنها : << معرفة مقومات الأمة الإسلامية العامة بتفاعلاتها في الماضي والحاضر من دين ، ولغة ، وحضارة ، وقيم ، وأهداف مشتركة بصورة واعية هادفة >>

2( الاتجاه الثاني : يرى أن الثقافة الإسلامية هي جملة العلوم الإسلامية المستمدة من المصادر الشرعية ، فهو يعرف الثقافة على أنها : << معرفة مقومات الدين الإسلامي بتفاعلاتها في الماضي والحاضر ، والمصادر التي استقيت منها هذه المقومات >> .

3( الاتجاه الثالث : يرى أن الثقافة الإسلامية علم مستقل عن العلوم الاسلامية نشأ كغيره من العلوم الإسلامية نظراً للحاجة المعاصرة التي اقتضت استقلاله بهذا المسمى ، وله موضوعاته التي يختص بها عن غيره من العلوم الإسلامية ، ولعل هذا الاتجاه هو الأقرب للصواب ، ففي هذا الزمان الذي تكالبت فيه الأمم على الأمة الإسلامية نحتاج إلى علم يؤصل القيم والنظم التي تميز بها الإسلام ، ويواجه هذا العلم تلك التحديات التي نشأت في هذا العصر ، ويرد الشبهات المحدثة التي وصمت بها الشريعة الإسلامية من قبل المناوئين لها ، فكان علم الثقافة الإسلامية هو العلم الذي يقوم بهذا الدور المهم .

ومن هنا فإن علم الثقافة الإسلامية ليس تكرارا لغيره من العلوم الشرعية ، بل هو (( علم قائم بذاته ، له موضوعاته الخاصة ، وأهميته البالغة ، وطابعه الخاص الذي يمتاز به عن سائر العلوم الإسلامية )) ، ومن ذلك :

- كونه بيانا لمنهج الإسلام الشمولي ، واهتمامه بالكليات دون الجزئيات .
- اهتمامه بنقد الثقافات المختلفة في النظم والقيم والفكر .
- اهتمامه بالمقارنة بين الثقافات بعضها ببعض من جهة ، ومقارنة الثقافة الإسلامية بغيرها من الثقافات من جهة أخرى .

❖ التعريف المختار لعلم الثقافة الإسلامية :

(( هو العلم بمنهج الإسلام الشمولي في القيم ، والنظم ، والفكر ، ونقد التراث الإنساني فيها ))

سؤال الفقرة : اشرح معاني كلمات التعريف المختار لعلم الثقافة الإسلامية .

- ✓ العلم : هو الادراك المبني على أدلة يرتفع بها عن المعرفة الظنية ، وهو الدراسة المنظمة خلافاً لمجرد المعرفة .
- ✓ منهج الاسلام : المنهج هو الطريق الواضح ، والإسلام هو الدين الحق الذي ارتضاه الله لعباده ، ومنهاج الإسلام هو طريق الإسلام ومنهجه الذي جاء النبي محمد صلى الله عليه وسلم والمستمر إلى يوم القيامة .
- ✓ الشمولي : الكلي المترابط .
- ✓ القيم : هي القواعد التي تقوم عليها حياة الانسان ، وتختلف بها عن حياة الحيوان ، مثل ( الحق ، الاحسان ، الحرية ) .
- ✓ النظم : هي مجموعة التشريعات التي تحدد للإنسان منهج حياته ، مثل ( نظم العبادة والأخلاق ) .
- ✓ الفكر : هو عمل العقل ونتاجه ، وفيه :

1- عمل العقل : وهو التفكير في مقوماته ومصادره ومناهجه .. الخ .
2- قضايا الفكر : والقضية هي مسألة ذات أبعاد متعددة ومترابطة لا تقبل المعالجة إلا في إطار عام ، ومنها : ( قضايا الوجود ، والتطور والعقلانية ... ) .
3- المذهبيات الفكرية : المذهبية هي اتجاه يقوم على منظومة من المفاهيم بشأن الوجود والانسان والحياة ، قد يتجلى في فلسفة شمولية كالماركسية ، وقد يتجلى في منظومة من المفاهيم المترابطة بعضها ببعض في وحدة منسقة كالاستشراق .

- ✓ النقد : كشف حال الشيء لبيان جيده من زيفه .

التراث الإنساني : التراث هو ما يخلفه الرجل لورثته ، والتراث الإنساني : هو ما تخلفه البشرية من ثقافة وحضارة وعلوم .

**صلة الثقافة الإسلامية بالعلوم الاخرى**

للثقافة الإسلامية صلة وثيقة بعلوم الإسلام مثل :
( علوم القرآن ، علوم الحديث ، علم العقيدة ، علم الفقه وأصوله ، علم السلوك والآداب ))
فموقع علم الثقافة الإسلامية بين العلوم الشرعية يتجلى فيما يلي :

1( أنه علم متميز بين هذه العلوم ، ليس واحدا منها ، وليس جامعاً لها .
2( أنه لا يغني الوجود الجزئي المتخصص لهذه العلوم عن علم الثقافة الإسلامية ، كما أنه ، رغم شموليته ، لا يغني عنها في تخصصاتها الدقيقة .
3( أن مقامه بين العلوم الشرعية عظيم ، لجلالة موضعه ، فهو علم الكليات التي هي الأصل للجزئيات .
4( أن له صلة بكل علم منها ، وهذا جار في كل علم من علوم الشريعة ، لا يمكن الفصل بينها تماما

**أهمية الثقافة الإسلامية**

إن دراسة الثقافة الإسلامية في هذا العصر من الأهمية بمكان ، ويتجلى ذلك من خلال جملة من الأهداف الجليلة نلخصها في الآتي :

1( تقديم تصور شامل للإسلام باعتباره منهج حياة متكامل ومترابط ، لا ينفك بعضه عن بعض .
2( بيان تفوق الإسلام وسموه على الأديان كافة ، وعلى المذاهب الإنسانية عامة ، وفي كل مناحي الحياة .
3( تعريف المسلم بالعقيدة الصحيحة وبيان أصول الدين التي تميزه عن الأديان كافة .
4( تبصير المسلم بما يحتاج إلى معرفته من أمور دينه ، في عبادته ومعاملاته .
5( تعزيز الهوية الإسلامية والانتماء للإسلام وتقديمه على أي انتماء آخر ، {{ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ }} .
6( تبصير المسلم بالغزو الفكري ، وبيان صوره وأساليبه التي تهدف لإبعاد المسلم عن دينه .
7( تطبيق الأخلاق الإسلامية في حياة المسلم كسلوك دائم يمارسه في سائر أعماله .
8( إيقاف المسلم على أثر الإسلام في حياته ، فهو الذي يمده بالإيمان والفضائل والقيم .

بيان موقف الإسلام من القضايا المعاصرة في شتى المجالات بما يؤكد أن الإسلام دين صالح لكل زمان ومكان

نشأة علم الثقافة الإسلامية

ترجع العلوم الإسلامية كافة في نشأتها إلى القرآن الكريم والسنة النبوية ، بوصفها علوماً موثقة أو شارحة لنصوصها ، والناظر في علم الثقافة الإسلامية وتطوره يمكن أن يحدد لتاريخه أربع مراحل ، وهي :

| | |
|---|---|
| المرحلة الأولى ما قبل التدوين | وذلك أن شمول الإسلام تمثل في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، فأسلوب القرآن ليس كباقي الكتب القائمة على التقسيم إلى أبواب وفصول ، فيمكن أن تأتي الآية في القرآن الكريم مشتملة على العديد من الجوانب ، وذلك لأنها خطاب للإنسان بوصفه الكلي المركب الذي يتداخل فيه جانب الغيب مع جانب الشهادة ، ومن ذلك قوله تعالى {{ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ }} ، وقد وعى المسلمون هذا الشمول ، واعتبروه عند النظر والعمل وخطاب الآخرين بـ ( رسالة الإسلام ) . |
| المرحلة الثانية مرحلة التفاعل الحضاري | من الملاحظ أن توسع المسلمين في الفتوحات الاسلامية قد صحبه تفاعل مع الحضارات المجاورة وما لديها من تراث ، فنشأ بذلك تحدٍ جديد لم يكن معروفا من قبل ، اقتضى المواجهة وإظهار تميز الإسلام ، وكانت أهم الجهود التي واجهت هذا التحدي قد برزت في نطاق السنة على أيدي علماء الحديث ، ومن أهمها ما قام به الإمام البخاري من خلال كتابه ( الجامع الصحيح ) الذي جسد فيه شمول الإسلام لأبواب الحياة كلها . |
| المرحلة الثالثة مرحلة التجديد | مرَّ الفكر الإسلامي بفترة ركود ، وكان من آثاره ما ظلله من غشاوة وغياب البعد الشامل وسيادة النظرية الجزئية لدى معظم علماء تلك الفترة ، وذلك بحكم الانكفاء على التخصص وغلبة التقليد ، مما دفع ببعض العلماء الذين أحسوا بخطورة الوضع إلى كسر طوق الركود والتنبيه إلى ترابط العلوم الإسلامية ، ومن الجوانب التي عني بها المجددون بيان النظرة الشمولية للإسلام ، ومن أبرز العلماء في هذا الشأن كان ( الإمام بن تيمية ) ، الذي قام بحركته النقدية لتراث الحضارة الإسلامية بنهج سلفي يتسم بالشمولية في العرض والنقد ، ومن العلماء الذين تأثروا به كان الشيخ ( ولي الله الدهلوي ) الذي بعرض الإسلام بمنهج شمولي في كتابه ( حجة الله البالغة ) .<br>وفي العصر الحديث طرأ وضع جديد على العالم الإسلامي ، وهو الاتصال الثقافي ، وما أفرزه من تحديات للفكر الإسلامي تردد صداها على يد العديد من العلماء والدعاة لفضح الأساس الإلحادي لعلم الثقافة الغربية التي بدأت تضع أقدامها في العالم الإسلامي ، وقد اندرجت كتابات عديدة في الإطار العام للإسلام والحضارة الإسلامية ، بيانا للحق ودفعا للباطل ، فكان نتيجة ذلك وجود طائفة من الأفكار والكتابات ذات التوجه الشمولي في إطار التجديد والدعوة إلى الإسلام ، ولكنها لم تأخذ تسمية معينة . |
| المرحلة الرابعة مرحلة تسمية العلم | إن الجهود السابقة المشار إليها في المرحلة الثالثة لفتت الانتباه إلى أهمية توعية الأجيال بهوية الأمة وتميزها ، وضرورة تحصينها من التحديات التي تواجهها بسبب غلبة العالم الغربي الذي يخالف الأمة الإسلامية في تصورها وشريعتها ، لذا فقد تم إدخال تلك الأبحاث والموضوعات تحت مسمى علم جديد قرر تدريسه في المستوى الجامعي ، وكانت البداية باسم ( نظام الإسلام ) وتم تدريسه حينئذ في كلية الشريعة بجامعة دمشق ، وكان للأستاذ ( محمد المبارك ) فضل السبق في ذلك ، ثم بعد ذلك اتخذ إطارا أوسع وأدخل تحت مسمى ( الثقافة الإسلامية ) ، فأصبحت منذ ذلك الوقت علما اسلاميا مستقلا أضيف إلى العلوم الإسلامية . |

مصادر شرعية أصلية

وهو (( كلام الله المعجز ، المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، المكتوب في المصاحف ، المنقول بالتواتر ، المتعبد بتلاوته ، المبدوء بسورة الفاتحة ، المختتم بسورة الناس )) ، وهو أساس مصادر الثقافة الإسلامية ، ومن خصائص القرآن الكريم :

1) أن الله عز وجل تكفل بحفظه ، قال تعالى : {{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}} .

2) الشمول ، فالقرآن الكريم حوى الأصول الجامعة لكل نظم الحياة ، قال تعالى : {{ ونَزَّلنا عليْك الْكِتابَ تِبْيَانا لِكلِّ شيْءٍ وَهُدى وَرَحْمَة وَبُشْرَى لِلمُسْلِمِينَ }} ، كما أن القرآن جمع كل ما تفرق في الكتب السماوية السابقة من هدى وخير .

وهي (( كل ما ايف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة أو سيرة )) ، فالسيرة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر هذا العلم ، وهي تجسيد عملي للإسلام ، وتطبيق واقعي لشعائره ، ومن خصائص السنة النبوية :

1) أنها وحي من الله جل في علاه ، قال تعالى {{ ومَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْيٌ يُوحى }} .

2) أنها بيان للقرآن الكريم ، قال تعالى : {{ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتفكَّرُونَ }} .

وهو (( اتفاق المجتهدين من أمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته ، في عصر من العصور على أمر من أمور الدين )) ، والإجماع حجة شرعية عند المسلمين ، يجب العمل به ، وهو ثالث المصادر الشرعية ، ومن الأدلة على حجيته ، قال تعالى : {{ ومَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى ونُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا }} ، وقوله صلى الله عليه وسلم : (( إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة ، ويد الله مع الجماعة )) أو كما قال عليه السلام

وهو (( الحاق فرع بأصل في الحكم لتساويهما في العلة )) ، وقد اتفق جمهور علماء المسلمين على حجية القياس ، ومن أمثلة ذلك : ( قياس المخدرات على الخمر في التحريم ) : فالفرع هنا : ( المخدرات ) ، والأصل : ( الخمر ) ، والحكم : ( التحريم ) ، والعلة الجامعة بين الأصل والفرع : ( إذهاب العقل ) .

مصادر معرفية فرعية

وهي ليست من مصادر التشريع ولكنها تعد من روافد الثقافة الإسلامية ، والفرق بينها وبين المصادر الشرعية : أن المصادر المعرفية محكومة بالمصادر الشرعية ، فكل ما يستمد منها يجب أن لا يخالف المصادر الشرعية ، وهي مصادر كثيرة ، سنذكر هنا أبرزها :

التاريخ الإسلامي

وهو زاخر بالتجارب والخبرات ، والعظات والمواقف ، وقد ساهم هذا التاريخ بتعزيز الثقافة الإسلامية ، وهو من أهم مصادر الثقافة الإسلامية ، ولعل من أبرز معالم التاريخ الإسلامي التي تخدم الثقافة الإسلامية ، سير العلماء والمصلحين ومناهجهم في الحياة ، والدعوات الإصلاحية التي قاموا بها .

التراث الإسلامي

وهو ما صنفه العلماء على مر العصور في شتى العلوم ، فقد خلفوا لنا تراثاً هائلاً هو عصارة تجاربهم .

اللغة العربية

فقد أنزل الله القرآن الكريم بها ، وهي ثابتة لا تتغير ، ولها دور كبير في حياة الانسان فهي طريق التواصل والتعبير عن الفكر والمعرفة بين البشر ، فمن أراد تعلم ثقافة قوم لا بد له من تعلم لغتهم ، واللغة العربية هي الطريق إلى فهم الإسلام ، ومن ثم كانت اللغة العربية مصدرا مهما للثقافة الإسلامية .

الخبرات الإنسانية النافعة

فالثقافة الإسلامية ثقافة غير منغلقة على ذاتها بل إنها تستفيد من الخبرات الإنسانية السابقة والنافعة ، وقد استفاد العلماء من تلك الخبرات بل وساهموا في تطويرها .

| | |
|---|---|
| الربانية | فهي ثقافة تستمد أصولها العقدية والعملية والأخلاقية من الكتاب والسنة ، قال تعالى : {{ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفا كَثِيرًا }} ، وهذه الخصيصة من أهم خصائص الثقافة الإسلامية ، ومنها تنبثق بقية الخصائص ، ومن أهم فوائد هذه الخصيصة :<br>• أنها تكون لدى المسلم تصور كامل عن القضايا الكبرى التي تشغل فكر الإنسان ، كمعرفة الخالق عز وجل ، ومعرفة عالم الملائكة ، وعالم الجن ، وأصل البشر ، وبداية الخلق ونهايته ، حيث أن القرآن والسنة قد بينا ذلك بيانا شافيا ، بينما نجد أصحاب الثقافات الأخرى في حيرة من أمرهم تجاه كثير من تلك القضايا . |
| الوسطية | أمة الإسلام أمة وسطية ، فهي أفضل الأمم وأعدلها ، فهم بين اليهود الذين طغى عليهم التفريط فآذوا الأنبياء وقتلوهم ، وبين النصارى الذين طغى عليهم الغلو ، فألهوا المسيح والروح القدس .<br>ودين الإسلام دين وسط ومن معاني وسطيته أنه يوازن بين مطالب الجسد والروح ، ويوازن بين حاجات الفرد في الدنيا والآخرة ، ومن مظاهر وسطية الإسلام أن يوازن بين مصلحة الفرد والمجتمع ، فلا يغلب مصلحة جانب الفرد على المجتمع كالرأسمالية ، ولا يغلب مصلحة المجتمع على الفرد كالاشتراكية . |
| الشمول | ونعني بالشمول هنا أن الإسلام الذي قامت عليه ثقافتنا الإسلامية عني بكافة جوانب الحياة ، فسن لها شرائع تصلحها ، قال تعالى : {{ وَنزَّلنا عليْك الْكِتابَ تِبْيَانا لِكلِّ شيْءٍ }} ، فالشريعة الإسلامية شاملة للحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها ، ومن أهم مظاهر شمول الشريعة أنه تصحب المرء في كل مراحل حياته ، بل وقبل ولادته ، فلكل مرحلة أحكام معينة تشرع للمسلم . |
| الواقعية | واقعية الثقافة الإسلامية مبنية على واقعية التشريع الإسلامي ، ويبين ذلك ما رواه أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (( كل ابن آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون )) ، فالإسلام يتعامل مع المسلم بطبيعته البشرية ، فهو ليس بمعصوم . |
| العالمية | من أهم خصائص الثقافة الإسلامية أنها عالمية ، أي أنها ثقافة للبشر كافة ، لا تخص جنساً دون آخر ، ولا قومية دون أخرى ، فالإسلام دين الله الذي ارتضاه للناس كافة ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (( كان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس كافة )) ، فالإسلام دين عالمي شرعه الله للبشر كافة ، والتمايز في هذا الدين إنما هو بالتقوى فقط ، قال تعالى : {{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِند اللَّهِ أَتقاكمْ إِنَّ اللَّه عَلِيمٌ خَبِيرٌ }} . |
| الإيجابية | إيجابية الثقافة الإسلامية تنطلق من دعوة الإسلام للعمل والجد ، وذم الفساد والمفسدين ، فالإسلام ينهى عن الفساد في الأرض ، قال تعالى : {{ وَلاَ تَبْغِ الْفسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ }} ، ولا يتوقف عند ذلك ، بل يدعو لعمارة الأرض سواء الحسية منها أو المعنوية المتمثلة بعبادة الله والإحسان للخلق كافة . |

مع سهولة الاتصالات والمواصلات في عصرنا الحاضر ، اقتربت الأمم من بعضها ، وأصبح العالم كقرية واحدة ، وأصبح تأثير الثقافات أقوى ، ونحن المسلمون نملك ثقافة أصيلة ، تختص بجملة من الخصائص الفريدة التي تمتاز بها عن بقية الثقافات ، فهل نكتفي بثقافتنا وننغلق عليها ؟ أم نستفيد من الثقافات الأخرى ؟

إننا أذا استحضرنا ما سبق ذكره في مصادر ثقافتنا ، نجد أن منها (( الخبرات الإنسانية النافعة )) ، وكذا ما ورد في خصائصها نجد (( الإيجابية )) ، وذلك يبين لنا موقف الثقافة الإسلامية من الثقافات الأخرى والذي يمكن تلخيصه في أمرين :

الأمر الأول : أن الثقافة الإسلامية ثقافة إيجابية بحيث أنها تستفيد من خبرات الأمم ( النافعة ) ، وذلك لأن الحكمة ضالة المؤمن يأخذها من كل أحد ما لم تعارض الإسلام

الأمر الثاني : أن الثقافة الإسلامية توجب على المسلمين التمسك بدينهم ، والاعتزاز بالفكر الإسلامي الأصيل ، وأذكر هنا مقولة للإمام الشنقيطي توضح هذا الموقف حيث قال : ( الموقف الطبيعي للإسلام والمسلمين من الحضارة الغربية هو أن يجتهدوا في تحصيل ما أنتجته من النواحي المادية ، ويحذروا مما جنته من التمرد على خالق الكون جل في علاه ، فتصلح لهم الدنيا والآخرة ، والمؤسف أن أغلبهم يعكسون القضية ، فيأخذون منها الانحطاط الخلقي ، والانسلاخ من الدين ، والتباعد من طاعة خالق الكون ، ولا يحصلون على نتيجة مما فيها من النفع المادي ) .

وخلاصة موقف الثقافة الإسلامية من الثقافات الأخرى :

أنها تتواصل مع الثقافات الأخرى بشكل إيجابي بما لا يتعارض مع الإسلام ، وعدم التأثر بالثقافات الأخرى سلباً .

من هنا وجب التحذير من مواقف قد يتبناها المسلمون تجاه الثقافات الأخرى ، وهي مواقف سلبية لا تمثل الموقف الصحيح ، ومن ذلك :

1( موقف القبول والذوبان الذي يدعو لقبول كل ما جاءت به الثقافة الغربية دون تمييز .

2( موقف الرفض والمقاطعة لكل ما يأتي من الثقافات الأخرى ولو كان نافعا وغير متعارض مع الإسلام .

3( [illegible] دينها في العصر الحديث )) ، حيث أن الجهود التي يبذلها أعداء الإسلام هي جهود منظمة تستهدف صد المسلمين عن دينهم ، والهيمنة الثقافية والفكرية عليهم ، وذلك بهدف إضعافهم عسكريا وسياسيا واقتصاديا ، لذلك أطلقنا عليها ( الغزو الفكري ) ، ويمكن تسمية ذلك الغزو بـ( الحرب الفكرية ) لأنه يستهدف الثقافة الإسلامية ، والغزو الفكري أخطر من الغزو العسكري ، لأن مبدأه السرية وسلوك المسارب الخفية ، فلا تشعر به الأمة المغزوة ، ولا تستعد لصده ، حتى تقع فريسة له ، وتكون النتيجة أن هذه الأمة تصبح مريضة الفكر والإحساس، تحب ما يريد لها عدوها أن تحبه ، وتكره ما يريد منها أن تكرهه ، وهو داء عضال يفتك بالأمم ، فيصبح علاجها أمرا صعبا ، وإفهامها سبيل الرشد شيئا عسيرا .

ثانيا وسائل الغزو الفكري :

1( الاستشراق : وهو ( دراسات يقوم بها غربيون للشرق الإسلامي من شتى الجوانب ، الدينية والتاريخية والاجتماعية ، بهدف تشويه الإسلام وتشكيك المسلمين في دينهم ) ، وقد عكف جمع من الغربيين على دراسة كل ما يتعلق بالإسلام ، ولم يكن الهدف البحث عن الحقيقة ، بل كانت موجهة للطعن في الإسلام ومحاولة تشكيك المسلمين في دينهم .

لذلك نجد أنهم يحاولون النيل من النبي صلى الله عليه وسلم ، وادعاء أنه تأثر بما رآه في الكنائس المسيحية اثناء سفره لبلاد الشام مع عمه ، وتأثر بالديانة اليهودية التي كانت موجودة آنذاك في جزيرة العرب ، فجاء بدين مستمد من الديانتين . حاشاه رسول الله .

كما يوجهون الطعن لصحابة رسول الله أيضاً ، ومن أكثر من تعرض للطعن الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه ، وذلك لأنه أكثر الصحابة رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا تمكنوا من الطعن فيه أسقطوا جميع ما رواه من الأحاديث ، كما أن الاستشراق يعد أداة لخدمة الاستعمار والتنصير ، وقد بين المستشرق النمساوي (( ليوبولد فايس )) الذي أسلم بعد وسمى نفسه (( محمد أسد )) ، حيث قال : "أما تحامل المستشرقين على الإسلام فغريزة موروثة ، وخاصية طبيعية تقوم على المؤثرات التي خلقتها الحروب الصليبية بكل ما لها من ذيول في عقول الأوربيين الأولين" .

ويقول المستشرق الألماني (( مراد هوفمان )) الذي أسلم : "مارس أكثر العلماءٍ – يعني من المستشرقين – أبحاثهم لخدمة المصالح الاستعمارية ، وإخضاع العالم الإسلامي للغرب ، سواء كان ذلك بوعي أو بدون وعي ، وعمل قليل منهم كعملاءٍ سريين بك معنى الكلمة" .

ويقول (( محمد أسد )) أيضا : "والواقع أن المستشرقين الأولين في الأعصر الحديثة كانوا مبشرين منصرين يعملون في البلاد الإسلامية ، وكانت الصورة المشوهة التي اصطنعوها من تعاليم الإسلام وتاريخه إنما هي مدبرة على أساس يضمن التأثير في موقف الأوربيين" .

وقد أدرك المستشرقون بأن مخططاتهم فضحت ، وأهدافهم كشفت ، فتنادوا للبحث عن طريقة يحسنون بها من صورتهم الكالحة ، بحيث يبقي المكر ويخفي العداء ، فعقدوا آخر مؤتمر تحت مسمى (( الاستشراق )) وذلك بباريس سنة ( 1973م ) ، واتفقوا على تغيير المسمى إلى (( المؤتمر العالمي للدراسات الإنسانية حول آسيا وشمال أفريقيا )) ، فغيروا الاسم وأبقوا على المضمون ، ومن هنا نعلم أن الاستشراق لم ينته ، فتغيير الاسم لا يغير حقيقة المضمون .

2( التنصير : وهو ( حركة دينية سياسية استعمارية ، بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية وذلك بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامة ، وبين المسلمين بخاصة ، بهدف إحكام السيطرة على

هذه الشعوب ) .
ومن خلال التعريف يتضح أن حركة التنصير ظهرت بسبب فشلهم في الغزو العسكري ، فاتجهوا للغزو الفكري لتحقيق ما عجز الغزو العسكري من تحقيقه ، فالتنصير حركة منظمة تدعمها دول وجمعيات تنصيرية تقوم بجهود منسقة لتحقيق أهدافها المنشودة وذلك تحت مظلة ( التبشير ) .
يقول القس ( سيمون ) : "إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية ، وتساعد على التملص من السيطرة الأوروبية ، والتبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة ، من أجل ذلك يجب أن نحَوِل بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الإسلامية" .
ويقول القس ( صموئيل زويمر ) : "يجب إقناع المسلمين بأن النصارى ليسوا أعداء لهم ، وتبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ، ومن بين صفوفهم ، لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها" .
فالهدف الأسمى للتنصير ليس هداية المسلمين للنصرانية ، بل الهدف السيطرة على المسلمين وإضعافهم لذا قال ( صموئيل زويمر ) في مؤتمر القدس التنصيري عام ( 1935م ) : "مهمة التبشير التي ندبتكم عليه الدول المسيحية في البلاد الإسلامية ليست في إدخال المسلمين للمسيحية ، فإن في هذا هداية لهم وتكريما ، وإنما مهمتكم هي أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالـ ، وبالتالي لا صلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها" .

ومن أهم وسائل التنصير :
1- تقديم الخدمات الطبية وبناء المستشفيات وبعث الإرساليات الطبية لعلاج فقراء المسلمين تحت مظلة الحملات التبشيرية .
2- تقديم التعليم وبناء المدارس والجامعات الغربية التي تسهل التنصير في بلاد المسلمين ، والاستفادة من ابتعاث المسلمين إلى بلادهم للتشكيك في دينهم والتأثير عليهم .
3- توجيه الإعلام المكتوب والمسموع والمرئي لخدمة الأهداف التنصيرية .
4- استغلال الكوارث والحروب لتقديم المساعدات الإنسانية التي تحسن من صورتهم .
تشويه صورة الإسلام واتهامه بالرجعية والهمجية والإرهاب .

1( الإعلام : وهو من أخطر وسائل الغزو الفكري ، فقد استغل الغرب وسائل الإعلام لنشر الثقافة النصرانية والقيم الغربية المنحلة ، وتشويه صورة الإسلام ، والطعن في عقيدة المسلمين وثقافتهم ، وقد استفادوا من أبناء المسلمين الذين انجروا خلفهم ، عن وعي أو عن غير وعي ، فساهموا في نشر الأفكار الغربية الفاسدة التي تخدم أعداء الدين ، وتنافست في هذا الغزو القنوات الفضائية من خلال بث المسلسلات التي تغرس في نفوس المسلمين العقائد الفاسدة ، والأفكار المنحرفة ، حتى أصبحت بعض تلك الأِخبار من المسلمات لدى فئة كبيرة من مشاهديها ، فنظروا لتعدد الزوجات بأنه خيانة زوجية ، وعدوا الزنا حبا ، وأصبحت العلاقات المحرمة صداقات ، وسمي الخمر بالمشروب الروحي ..... الخ ، وأصبح المفسدون يشار إليهم بالبنان ، ويوصفون بأنهم أهل الثقافة والفن ، بل ويعتبرهم آخرون صفوة المجتمع .
2( العولمة : وهو مصطلح جديد كثر استعماله ، ولإعطاء تصور شامل عن هذا المصطلح يمكن تعريفه بأنه : ( فرض الهيمنة الغربية على العالم في مناحي الحياة كافة ، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وغيرها ) ، فهي بسط لهيمنة العالم الغربي على غيره نتيجة لتقدمه العلمي والتقني ، وتفوقه السياسي والاقتصادي ، ولا نعني هنا ثورة المعلومات التي جعلت العالم قرية واحدة وسهلت عمليات التواصل في أنحاء المعمورة ، بل نعني العولمة الحقيقية التي هي استعمار مبطن للشعوب ، يقول ( ريتشارد هبوت ) : "العولمة هي ما اعتدنا أن نطلق عليه في العالم الثالث ولعدة قرون اسم : الاستعمار" .
إن فرض العولمة على العالم الإنساني بأسره نابع من نظرة استعلائية فوقية من الغرب باتجاه شعوب العالم كلها ، فهل العالم بحاجة إلى الثقافة الغربية المنحلة ؟ ، أو الحياة الاجتماعية المتفككة ؟ ، وهل شعوب العالم لا تمتلك من النظم ما يفوق تلك النظم الغربية ؟ .
ففي الجانب السياسي ، يريد الغرب نشر الديموقراطية في بلاد المسلمين ، والديموقراطية نظام سياسي لا يحقق

العدالة التي ينادون بها ، فهو يغلب مصلحة الأغنياء على الفقراء ، ويسوي بين العالم والجاهل في حق التصويت ، فالديموقراطية في حقيقتها وجه آخر للرأسمالية بكل ما فيه من عيوب ، فهما وجهان لعملة واحدة .
وفي الجانب الاجتماعي والأسري ، فالعولمة تفرض على العالم النظام الغربي الذي يبيح الزنا ، ويشرع اللواط والمثلية الجنسية باعتبارها حرية شخصية ، ويمنع تعدد الزوجات ، إلى غير ذلك مما يخالف ديننا الحنيف ، فالعولمة هي وجه آخر للتغريب .

للغزو الفكري الذي عانت منها الأمة الإسلامية آثار عديدة ، منها :

1( زعزعة الإيمان في نفوس بعض المؤمنين ، والتشكيك في العقيدة ، وبث الشبهات التي تساعد على ذلك .
2( تحطيم الأخلاق الإسلامية التي تدعوا للعفاف والستر ، ونشر قيم غربية تروج للانحلال والفساد بدعوى الحرية الشخصية .
3( العمل على إفساد المرأة لتكون سلعة مشاعة للجميع ، بدعوى تحريرها وإنصافها من الظلم والتعسف .
4( نشر الفرقة بين المسلمين ، والدعوة للقوميات المختلفة لتأصيل الخلاف بين المسلمين ، والحيلولة دون اجتماعهم .
5( نشر المذاهب الهدامة والأفكار الملحدة وتشجيع الطعن في الإسلام وفي الذات الإلهية وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بدعوى تحرير الفكر وإثراء الأدب .
6( تشجيع العلمانية ، والفصل بين الدين وشؤون الحياة ، والترويج لحصر الدين في المسجد ، أما باقي شؤون الحياة فلا تخضع لأحكام الدين .
7( تشجيع التحاكم إلى القوانين الوضعية وإقصاء تحكيم الشريعة الإسلامية .
8( تغريب المجتمعات الإسلامية ، وطبعها بالطابع الغربي ، وإيهام الناس بأن ذلك علامة على التقدم والرقي ، وتصوير المتمسك بالإسلام على أنه رجعي وعدو للتقدم حتى لا يتجرأ أحد من التحذير من التغريب .

1( تحصين أفراد الأمة الإسلامية بالإيمان والعقيدة الصحيحة .
2( تعريف أبناء الأمة الإسلامية بالغزو الفكري ووسائله وأساليبه .
3( توعية المسلمين بآثاره الخطيرة على المجتمع .
4( الاهتمام باللغة العربية وعدم الانجرار خلف من يسعى لنشر اللغة الإنجليزية في بلاد المسلمين .
5( الاهتمام بالإعلام وتوجيهه لتعزيز الهوية الإسلامية ، وعدم التبعية للإعلام الغربي وتلقف ما ينتجه الغرب من مواد إعلامية تسهم في الغزو الفكري ، والسعي لئن يكون الإعلام الإسلامي مؤثرا لا متأثرا .
6( الاهتمام بالتعليم في جميع المراحل وتوعية النشء بالغزو الفكري عن طريق المناهج الدراسية ، وتعزيز المفاهيم الإسلامية في نفوس الأبناء .
7( الاهتمام بالمرأة المسلمة وتوعيتها بمخاطر الغزو الفكري الذي يستهدفها .
8( إقامة المؤتمرات والندوات والمحاضرات التي تعزز الهوية الإسلامية تبين مخاطر الغزو الفكري وكل ما يستجد من وسائله وأساليبه .

التوحيد لغة : هو مصدر وحّد ، وهو أصل يدل على الانفراد .
التوحيد اصطلاحا : هو ( إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختص به من الربوبية ، والألوهية ، والأسماء والصفات ) .
اقسام التوحيد : وينقسم إلى ثلاثة أقسام ، وقد اجتمعت في قوله تعالى : {{ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا }} ، وهذه الأقسام هي :

1( توحيد الربوبية : وهو ( اعتقاد تفرد الله عز وجل في أفعاله ، كالملك والخلق والتدبير ) .
2( توحيد الأسماء والصفات : وهو ( أن يوصف الله تبارك وتعالى بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من صفات الكمال ، ونعوت الجلال ، من غير تكييف ولا تمثيل ، ومن غير تحريف ولا تعطيل ) .
3( توحيد الألوهية : وهو ( إفراد الله بالعبادة ) .

- أهمية توحيد الألوهية : وتظهر من خلال عدة أمور منها :

1( أن كل رسول يبدأ دعوته لقومه بالأمر بتوحيد الألوهية ، كما قال تعالى : {{ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ }} .
2( أن المشركين من سائر الأمم أجمعوا على إنكاره ، ووقعت الخصومة بينهم وبين أنبيائهم في تحقيق معناه .
3( أنه واجب على المكلف ، وأول ما يدخل به الإسلام ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ لما بعثه إلى اليمن : (( إنك تقدم على قوم أهل كتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله ، فإذا عرفوا الله ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات .... الحديث )) .

4( أنه آخر ما يخرج به من الدنيا ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (( من كان آخر كلامه : لا إله إلا الله ، دخل الجنة )) ، فهو أول واجب ، وآخرُ واجب ، فالتوحيد إنما هو أول الأمر وآخره .

الإيمان لغة : هو ( التصديق مع الطمأنينة والإقرار ) ، قال تعالى : {{ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ }} .
الإيمان اصطلاحا : هو ( اعتقاد بالجِنانِ ، وقول باللسان ، وعمل بالأركان ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ) .
قال السفاريني في منظومته : "إيمانا قولٌ وقصد وعمل ***** تزيده التقوى وينقص بالزلل " .

- اعتقاد بالجنان : الجنان هو القلب ، فلا بد من يقين في القلب ، وتصديقه بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، فلا إيمان بلا اعتقاد بالقلب ، ولو نطق بالشهادة مثل المنافق .
- قول باللسان : بأن ينطق بالشهادة ، فإن صدّق بقلبه لم يكن مؤمنا إن لم ينطقها بلسانه ، كعم النبي ( أبي طالب ) ، كان مؤمنا بصدق النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينفعه ذلك بالدخول في الإيمان .
- عمل بالأركان : الأركان هي الجوارح والأعضاء ، وهذا يدل على أن العمل داخل في مسمى الإيمان ، مثل ، الصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها من الأعمال ، ويدخل في ذلك أيضا الأعمال القلبية ، مثل ، الإخلاص والمحبة والتوكل .
- يزيد بالطاعة : أي أن فعل الطاعات والإكثار منها يزيد في الإيمان ، قال تعالى : {{ هوُ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ }} .
- ينقص بالمعصية : فكما أن الطاعات تزيد الإيمان كذلك المعاصي تنقص الإيمان ، والمقصود بالمعاصي هنا : ما لا يخرج من الملة سواء كانت كبائر أو صغائر .

❖ اركان الإيمان ستة وهي :

1/ الإيمان بالـ .... 2/ الإيمان بالملائكة .... 3/ الإيمان بالكتب .... 4/ الإيمان بالرسل .... 5/ الإيمان باليوم الآخر .... 6/ الإيمان بالقدر خيره وشره .

والدليل من القرآن على هذه الأركان ، قال تعالى : {{ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ }} .
ومن السنة النبوية ، حديث عمر رضي الله عنه الطويل ، وفيه : أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ، أخبرني عن الإيمان ، فقال : (( أن تؤمن بالـ ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره )) .

العبادة لغة : مأخوذة من الذل والخضوع ، يقال : طريق معبد إذا كان مذللا بكثرة الوطء ، فمعنى العبادة في اللغة : ( الطاعة مع الذل والخضوع ) .
العبادة اصطلاحا : عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية بأنها ( اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ) .
الأقوال والأعمال الظاهرة مثل : الصلاة والصيام والزكاة والحج والصدق وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الرحم ... الخ .
الأعمال الباطنة مثل : حب الله ورسوله ، خشية الله ، الإنابة إلى الله ، إخلاص الدين لـ ، الصبر لحكم الله والشكر لنعمه ، الرضا بقضاء الله والتوكل عليه والرجاء لرحمته واخوف من عذابه .

- أهمية العبادة في الإسلام ومنزلتها :

✓ العبادة هي الغاية المحبوبة لـ والمرضية له ، وهي التي خلق الله الخلق لها ، قال تعالى : {{ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }} .
✓ بعثت الرسل إلى أقوامها للدعوة إلى الله وإفراده بالعبادة ، قال تعالى : {{ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ }} .
✓ جعل الله العبادة لازما لرسوله صلى الله عليه وسلم حتى الموت ، قال تعالى : {{ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ }} .
✓ العبادة هي من أشرف ما وصف الله به الملائكة والأنبياء ، قال تعالى : {{ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (26) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ }} ، وقال تعالى : {{ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى }} .

✓ ذم الله المستكبرين عن عبادته ، قال تعالى : {{ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ }} .

الدين كله داخل في العبادة كما جاء في سؤال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والإيمان والإحسان ، وكلها

~~للعبادة في المفهوم الواسع الشامل لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، فهي تشمل كل ما يقربنا إلى الله تعالى ، ويدخل فيها كل عمل يبتغى به وجه الله تعالى ، ويشمل ذلك (( مما يعده الناس~~ من العادات ، كالأكل والنوم ونحوهما ، فمتى استعان المسلم بأي فعل على صلاة أو صيام كان له به أجر ، فهذا معاذ رضي الله عنه يقول : "أنام أول الليل فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم ، فأقرأ ما كتب الله لي ، فأحتسب نومتي كما احتسب قومتي" .

بل إن ترك المحرمات داخل في العبادة ، فإن العبد إذا اجتنب المحرمات مبتغياً بذلك وجه الله تعالى ، كان فعله ذلك عبادة ، ويدل على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( يقول الله : إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها ، فإن عملها فاكتبوها بمثلها ، وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة ، وإذا أراد عبدي أن يعمل حسنة فلم يعملها ، فاكتبوها له حسنة ، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف )) ، فالعبادة في الإسلام لا تقتصر على ما يؤديه المسلم في المسجد ، نعم للمسجد فضل ويجب أن تؤدى فيه الصلوات الخمس ، ولكن العبادة تشمل كل حياة المسلم ، داخل المسجد وخارجه .

للعبادة ركنان لا تقوم إلا بهما :

1) الأول : كمال المحبة وتمامها ، قال تعالى : {{ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ }} .

2) الثاني : كمال الذل وغايته .

قال الشيخ حافظ الحكمي : "وقد جمع الله بين ذلك في قوله : {{ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ }} " ، وقال تعالى : {{ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ }} .

وقال ابن القيم في النونية : وعبادة الرحمن غاية حبه ***** مع ذل عابده هما قطبان

فلا تصح العبادة ولا تتحقق إلا باجتماعهما ، ولا يغني أحدهما عن الآخر .

قال ابن القيم : "العبادة تجمع أصلين : غاية الحب بغاية الذل والخضوع ، والعرب تقول : طريق معبد ، أي مذلل ، والتعبد : التذلل والخضوع ، فمن أحببته ولم تكن خاضعا له ، لم تن عابدا له ، ومن خضعت له بلا محبة ، لم تكن عابدا له ، حتى تكون محبا خاضعا

للعبادة شرطان ، لا تصح ولا تقبل إلا بهما :

❖ الأول : الإخلاص ، بأن يقصد المسلم بعبادته وجه الله تعالى ، ولا يريد بعمله أحد سواه ، قال تعالى : {{ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ }} .

الثاني : المتابعة ، بأن تكون العبادة موافقة لما شرع الله ، يتابع فيها المسلم هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا يعبد الله إلا بما شرع ، ولا يجوز له أن يحدث في الدين ما ليس منه ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد )) ، والمقصود بـ ( فهو رد ) أي مردود على صاحبه فهو عمل باطل لا يقبله الله .

للعبادة دوافع تدفع المسلم لأدائها ، وتدعوه للالتزام بها والمحافظة عليها ، منها ما هو محمود ومنها ما هو مذموم ، وهي

1) الشعور الفطري : فقد خلق الله الإنسان بفطرة إيمانية تدفعه نحو عبادة الله ، قال تعالى : {{ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ }} ، وهذا الشعور الفطري يوجه الإنسان لعبادة الله إن سلم من المغيرات ، وإن لم يسلم فإنه سيعبد غير الله ، لأن فطرته هي العبادة ، لذا نجد كل الناس ( مؤمنهم وكافرهم ) تدعوهم فطرتهم للعبادة .

2) المحبة والتعظيم : وهي من أعظم دوافع عبادة الله عز وجل ، قال تعالى : {{ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }} ، وقد عاب الله على المشركين محبتهم لغيره كمحبتهم له ، فقال تعالى : {{ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ }} ، فكل من انحرف عن ذلك فعبد غير الله فهو محب لذلك المعبود محبة باطلة ، وقد نقلته تلك المحبة من الإيمان إلى الشرك بالله .

3( الرغبة والرهبة : وهي من الدوافع المهمة في العبادة ، قال تعالى : {{ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ }} ، فالخوف من عذاب الله يدفع المؤمن لعبادته ، والطمع في ثواب الله يبعث في نفس المؤمن الرغبة في عبادته لينال ذلك الثواب .

4( تعدد نعم الله توجب الشكر ، والشكر يكون بالعبادة والتذلل لـ عز وجل ، ولذا بين النبي صلى الله عليه وسلم أن شكر الله تعالى من دواعي حرصه على كثرة النوافل حينا قام حتى تورمت قدماه فسئل عن ذلك ، فأجاب : (( أفلا أكون عبدا شكورا )) ، وقد امتدح الله نبيه نوح بذلك فقال : {{ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا }} .

5( الحاجة والافتقار : فهما يدفعان للعبادة ويحثان العبد على التذلل لربه والخضوع لعظمته ، فالعبد فقير إلى الله ، محتاج إلى فضله ، قال تعالى : {{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ }} فإذا افتقد الإنسان ذلك ، أو أحس بغناه طغى وتجبر ، قال تعالى : {{ كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى (6) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى }} ، قال ابن جرير : "إن الإنسان ليتجاوز حده ويستكبر على ربه ، فيكفر به ، لأنْ رأى نفسه استغنى" ، لذا فإن كثرة المال مدعاة للتكبر عن عبادة الله إلا من عصم الله .

6-العادة والتقليد : وهي من دوافع العبادة ، ولكنه من الدوافع المذمومة ، إذ أنه إذا فعل العبد العبادة لهذا السبب أصبحت عادة اجتماعية يمارسها الإنسان اتباعا لمجتمعه ، فيفرغ العبادة من حكمها ، وتفتقد إلى أركانها وشروطها ، لذا حذر ابن مسعود من هذا التقليد الذي يردي صاحبه في الهلاك ، فقال : "لا يكون أحدكم إمعة" ، قالوا : وما الإمعة يا أبا عبدالرحمن ؟ قال : "يقول إنما أنا مع الناس إن اهتدوا اهتديت ، وإن ضلوا ضللت ، ألا ليوطن أحدكم نفسه على إن كفر الناس أن لا يكفر" ، وهذا الدافع من سمات المنافقين كما جاء في حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما ، قالت : قال النبي صلى الله عليه وسلم (( قد أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور قريبا ، أو مثل فتنة المسيح الدجال ، فيؤتى أحدكم فيقال : ما علمك بهذا الرجل ؟ ، فأما المؤمن أو الموقن فيقول : هو محمد ، هو رسول الله ، جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وأطعنا ، ثلاث مرار ، فيقال له : نم ، قد كنا نعلم إنك لتؤمن به ، فنم صالحا ، وأما المنافق أو المرتاب فيقول : لا أدري ، سمعت الناس يقولون شيئا ، فقلت )) .

---

للعبادة في الإسلام حكم عظيمة ، ومقاصد جليلة ، من أهمها :

1. تحقيق العبودية لـ عز وجل ، بامتثال أمره واجتناب نهيه والتسليم لحكمه : قال تعالى : {{ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ }} .
2. شكر الله عز وجل على نعمه ، فبالشكر تدوم النعم ، قال تعالى : {{ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيد }} .
3. تحقيق الإيمان بالغيب ، قال تعالى : {{ إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ }} .
4. الابتلاء والامتحان بالعبادة ، والتكليف بالطاعة ، قال تعالى : {{ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ }} .

وهذه الحكم عامة لجميع العبادات ، وقد يكون لبعضها حكم ومقاصد ، ومعرفة تلك الحكم والمقاصد يعين على أدائها ، ولكنه ليس أمرا لازما ، إذ الأصل : ( أداء العبادة امتثالا لأمر الله عز وجل ، لا من أجل حكمها ومقاصدها ) ، ولذا فمن الخطأ طلب حكمة تقنع العقل لكل عبادة بجميع تفاصيلها التوقيفية التي لا يدركها اعقل ، مثل : عدد الركعات ، وأنصبة الزكاة ، ونحو ذلك .

---

1. المفهوم القاصر للعبادة : يقصر بعض الناس مفهوم العبادة على الشعائر التعبدية فقط ، كالصلاة والصيام والحج ، ويغفل عن أن العبادة في الإسلام إنما هي : ( اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ) ، وهذا المفهوم الشامل للعبادة يمتد إلى حياة المسلم بكل تفاصيلها ، فعمل المسلم عبادة ، ونومه ، وأكله ، وشربه ، وزواجه ..... الخ ، إذا قصد بها وجه الله عز وجل ، فبالنية الصالحة تتحول الحياة إلى عبادة ، وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم (( جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا )) ما يشير إلى شمول العبادة ، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم مفهوم قصر العبادة على الشعائر التعبدية عندما قرأ : {{ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدا }} .
فقال عدي بن حاتم : "ما كنا نعبدهم" ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : (( أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتستحلونه ؟ )) قال عدي : "بلي" ، فقال عليه الصلاة والسلام : (( فتلك عبادتهم )) .
2. تحويل العبادة إلى عادة : يحرص بعض المسلمين على أداء العبادات والمحافظة عليها ، لكنه لا يستحضر عند أدائها كونها عبادة وأنه يجب أن يؤديها بتذلل وخضوع ، فيكون دافع أمثال هؤلاء العادة والتقليد ، فلا ينالون الآثار العظيمة المترتبة على العبادة ، لذا نجد من يؤدي العبادة ولا ينتفع بها ، كمن يصلي ولا تنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر ، ففي حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإحسان :
(( أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك )) .
3. الحرص على النوافل والتفريط في الفرائض : وهذه من مسالك الشيطان التي يلبس بها على المسلم ، فالفرائض هي من أوجب الواجبات ، وأحب الأعمال إلى الله ، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((

4. الغلو في العبادات : وهو التشدد في أداء العبادة وتكليف النفس فوق الطاقة في أداء نوافل العبادات ، وجعل بعض المستحبات في مرتبة الواجبات ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين ، فإنه أهلك من قبلكم الغلو في الدين )) .
5. البدع في العبادات : وهي من أخطر الأمور على الدين ، فقد أخرج الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد )) وفي رواية أخرى (( من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد )) ، فمن شروط العبادة ( المتابعة ) ، فالعبادة لا بد أن يكون لها أصل في الشرع ، قال تعالى : {{ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ }} ، والبدعة أعظم خطراً من المعصية ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية "والبدعة شر من المعصية كما قال سفيان الثوري : البدعة أحب إلى إبليس من المعصية ، فإن المعصية يتاب منها ، أما البدعة فلا يتاب منها" ، وما يبين خطر البدع ما نقل عن الإمام مالك أنه قال : "من ابتدع في الإسلام بدعة يراها أنها حسنة فقد زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم خان الرسالة ، لأن الله يقول : {{ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ }} فما لم يكن دينا لا يكون اليوم دينا" .

سبق القول بأن التعريف المختار لعلم الثقافة الإسلامية هو : العلم بمنهج الإسلام الشمولي في القيم والنظم والفكر ونقد التراث الإنساني فيها .

فالثقافة الإسلامية قائمة على هذا المنهج الشمولي في فروعه الثلاث ، وهي ( القيم – النظم – الفكر ، بالإضافة إلى فرع رابع يتمثل في ( نقد التراث الإنساني في هذه الفروع الثلاثة ) .

القيم هي القواعد التي تقوم عليها الحياة الإنسانية ، وهي التي تميز الحياة الإنسانية عن الحياة الحيوانية ، فتميز كل أمة من الأمم وكل حضارة من الحضارات مرهون بالعمل بهذه القيم ، والتمسك بها وإقرارها بين أفراده ، ويمكن تقسيم هذه القيم إلى ثلاثة أقسام :

1( القيم العليا : كالعبودية لـ تعالى ، والعدل ، والإحسان .
2( القيم الحضارية : كالمسؤولية ، والحرية ، والمساواة بين المتماثلات .
3( القيم الخلقية : كالصدق والأمانة ، والتعاون ، والوفاء .

النظم هي مجموعة التشريعات التي تحدد للإنسان منهج حياته ، ومن أهم النظم في الثقافة الإسلامية :
1/ نظام العقيدة ..... 2/ نظام العبادة ..... 3/ النظام الأخلاقي ..... 4/ النظام الاجتماعي .
5/ النظام السياسي ..... 6/ النظام الاقتصادي ..... 7/ نظم الدعوة والحسبة ..... 8/ نظام القضاء .

والفكر هو عمل العقل ونتاجه ، وفيه ثلاثة مجالات :
1( عمل العقل : وهو مبني على حركة العقل ، والتفكير في مقوماته ومصادره ومجالاته وضوابطه ، ونحو ذلك .
2( قضايا الفكر : كالقضايا العامة مثل ( الوجود والتطور ) ، أو القضايا الإنسانية مثل ( التدين والهوية ) ، أو القضايا الحضارية مثل ( التقدم والتخلف والوهن والتبعية ) .
3( المذاهب الفكرية : كما سبق تعريفها ( اتجاه يقوم على منظومة من المفاهيم بشأن الوجود والإنسان والحياة ) . ووفقا لتعريف المذهبية فإنها تتمثل في فلسفة شاملة ينبثق منها اتجاه عملي ، ولكنها تختلف في تجليها الذي تظهر به ، فبعضها يبرز من خلال الجانب النظري أكثر من العملي ، وبعضها بالعكس ، بناء عليه يمكن تقسيم المذهبية إلى نوعين بحسب الجانب الغالب فيه :
   - 1- المذاهب النظرية : مثل ( الوضعية والوجودية والاستشراق والحداثة ) .
   - 2- المذاهب العملية : مثل ( التنصير والماسونية والماركسية والعلمانية والقومية ) .

لنقد التراث الإسلامي في الثقافة الإسلامية جانبان :

1( النقد المقارن : ويكون النقد فيه مقارناً للتخصصات الثلاثة ( القيم - الفكر – النظم ) ، بحيث يقارن تأصيل كل قيمة ونظام وفكر في الثقافات البشرية المختلفةٍ لنقد الوجهات المختلفة للثقافات في كل مجال منها .

2( النقد الشمولي : حيث فيه النقد منحنى شموليا متكاملا لثقافة أمة من الأمم ، أو فترة تاريخية معينة : ( للأمة الإسلامية في تاريخها الثقافي أو حاضرها المعاصر *** وللأمم الأخرى ذات الصلة التفاعلية مع الأمة الإسلامية ) ، فتتم دراسة ثقافة الأمة من جميع جوانبها ، والعناصر التي تشكلت منها هذه الثقافة ، وتفاعلها مع غيرها من الأمم ، وبيان الرؤى المستقبلية للأمة .

لكل أمة من الأمم هويتها الثقافية التي تميزها عن غيرها ، ( وثقافة الأمة في جوانبها المختلفة تشكل اسلوبها في الحياة ، فعقيدة الأمة وتاريخها ونظرتها إلى الحياة والأفكار والنظريات التي تدور في عقول أبنائها ومفكريها وتدون في كتبها ودراستها ، تشترك جميعا في تحديد الأسلوب الذي يحكم حياة الأمة ويضبط مسارها ) .
والأفراد في أي مجتمع يتشربون ثقافة الأمة التي يعيشون فيها ، وتؤثر في تكوينهم الفكري والعقائدي والخلقي ، قال صلى الله عليه وسلم : (( كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه )) .
من هنا يُعلم أهمية الهوية الثقافية لأي مجتمع ، ومتى كانت هوية المجتمع الثقافية هوية صالحة كانت الأهمية بالغة .
والهوية الثقافية للأمة الإسلامية ( منضوية تحت تعاليم الإسلام ، فالإسلام هو الذي يشكل قيم الأمة الإسلامية ويصوغ عقولها وتصوراتها وعقيدتها ، ويبني نفوس أفرادها ويصلح قلوبهم ويوجههم الوجهة الصالحة في الحياة ، ويعرفهم بالخير والشر وبالحق والباطل .
ومتى انسلخت الأمة الإسلامية من ثقافتها ، فإن ذلك مؤذن بزوالها ودمارها ، وبذلك ترتد إلى الجاهلية التي جاء الإسلام لينقذها منها .

يلحظ أن هناك سعياً لحل العلاقة بين الثقافة والدين ، لتتجلى الثقافة لدى المسلمين والعرب في صورة ، ( المنفصمة عن الدين ) ، حتى قال بعضهم "إن الرواية إذا انتهت إلى حث على الفضيلة فهي وعظ ديني لا قيمة أدبية لها مهما جادت حبكتها" .
فأصبحت غالب جمعيات الثقافة ومجالسها أبعد المؤسسات عن الدين ، والفاعلون لها من أشد الناس انفصاماً عن دينهم .
والمقصود هنا هو كشف خطأ هذا المنظور ، الذي يلبس الحق بالباطل ، ويضخم الوسيلة ليجعلها الغاية ، فالأدب والفن وسائل لتبليغ رسائل منطلقها الثقافة الأساسية للأمة والمجتمع والمبنية على الدين الذي يدين به هذا المجتمع والعقيدة التي يعتقدها .
بين الباحثون أن الثقافة منبثقة من الدين ، بالمعنى الخاص أو بالمعنى العام الذي يصح معه اطلاق الدين على أي مبدأ بشري يتمثل في منظومة مفاهيم لها حضور واقعي كالشيوعية سابقا ، والليبرالية حاليا ، فكل هذه في الحقيقة تمثل أديانا بالمعنى العام .
يقول <<أرنولدتوينبي>> مبينا العلاقة بين الثقافة والدين : "إن الدين جزء من الثقافة" .
ويقول <<إليوت>> : "إن الثقافة ليست إلا تجسيما للدين" .
ويرى <<رايموند وليامز>> أن الثقافة هي النشاطات المعنوية والعملية حينما تشكل باعتبارها محكمة إنسانية عليا يلتجأ إليها ، يعني : باعتبارها دينا يتحاكم إليه الناس .
هذه أقوال عدد من ارباب الثقافة الغربية والتي تبين الصلة الوثيقة بين الثقافة والدين ، ويؤكد هذا بعض مثقفي العرب :
يقول <<عبدالغني عماد>> : "الدين ثقافة كاملة ، فهو يعبر عن رؤيةٍ للعالم وللطبيعة ولوجودِ الإنسانِ ، ويقدم تصوراً للبناء الإجتماعي الإنساني على نحو يغطي أحيانا أدق تفاصيل هذا الاجتماع : سياسة واقتصادا وأخلاقا وأحوالا شخصية ، ليس يهم إن سعت العقيدة إلى بناء أمة روحية ، شأن المسيحية ، أو إلى بناء أمة اجتماعية وروحية ، شأن الإسلام ، بل الأهم أنها قامت على تعاليم رسمت للمنتسبين إليها تخوم الجائز والممنوع ، وقذفت في روعهم الجمعي مبادئ تحولت إلى قواعد صارمة للفكر والسلوك" .

لو نظرنا إلى عيد الحب المسمى بـ ( الفالنتين ) لوجدنا أن أسسه مبنية على تكريم لقديس أو قسيس نصرانٍي يحمل هذا الاسم ، ويقال أنه تم اضطهاده بسبب إيمانه بالمسيحية وقتل بسبب ذلك ، فكان هذا العيد تكريما له في الأصل ، ثم تطور حتى أصبح ما هو عليه الآن ، وأما ( عيد الميلاد ) فالعلاقة واضحة وجلية بينه وبين معتقد النصارى بميلاد المسيح عليه السلام .
وكذلك عيد ( النيروز ) عند الفرس ، الذي تعود جذوره إلى التقاليد الدينية في الديانة الزرادشتية أو المجوسية ، حيث كانت الممارسات الزرادشتية تهيمن على كثير من بلاد فارس القديمة ، ويعتقد أن ( عيد النيروز ) "كما

جاء ذكر الحوار في القرآن الكريم في مواضع عدة منها :

- قال تعالى : {{ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ }} ، وقال تعالى : {{ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ }} .
- وهو منهج قرآني ، فقد كلم الله ملائكته ، وكلم رسله ، وكلم الكافرين ، وكلم إبليس ، والقرآن الكريم مليء بحوارات الرسل مع أقوامهم ، وكذلك حوار الرسل مع المعاندين مثل حوار سيدنا إبراهيم عليه السلام مع مدعي الربوبية ، وكذلك حوار موسى عليه السلام مع فرعون ، مدعي الألوهية والربوبية .

وحضارتنا الإسلامية على مدى التاريخ هي حضارة الحوار ، فقد حاور علماء المسلمين كافة أهل الملل والنحل بالمنهج القرآني والدعوة إلى الخير ، فالحوار مطلب إسلامي من أجل الدعوة إلى الله جل في علاه ، فلكي نقوم بواجبنا تجاه نشر هذا الدين والدعوة إلى تعاليمه السمحة لا بد من الحوار مع الآخرين ، وقد أمرنا الله عز وجل بمجادلة أهل الكتاب ولكن بالتي هي أحسن ، قال تعالى {{ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }} .

ظهر مصطلح حوار الحضارات في واقعنا المعاصر من خلال عدد من المفكرين ، كرد فعل على الصراع الدائر بين الحضارات والأمم خلال الحربين العالميتين ، وما أعقبهما من صراع بين القوى الشيوعية والقوى الرأسمالية .

- طرح المفكر الفرنسي <روجيه جارودي> نظرية حوار الحضارات إبان الحرب الباردة بين الرأسمالية والشيوعية للجمع بين الحضارات المختلفةٍ على أساس أرضية مشتركة للتفاهم على مستوى شعوب الأرض ، وسماها ( حوار الحضارات ) ، ولم تجد نظريته رواجا حينها ، لما كانت تتسم به من نقد شديد للهيمنة الغربية والسيطرة الأمريكية .
- في عام ( 1993م ) نشر المفكر <صمويل هنتنجتون> نظرية ( صدام الحضارات ) وتوقع فيها أن يكون الصراع خلال القرن الحادي والعشرين ، صراعا بين الحضارات ، وليس صراعا اقتصاديا أو فكريا ، وحدد سبع حضارات توقع احتدام الصراع بينها ، مرجحا بقاء ثلاث منها ، وهي : ( الحضارة الإسلامية ، والغربية ، والكونفوشوسية "الصينية" ) ، وحذر من تآلف الحضارة الإسلامية مع الحضارة الكونفوشوسية الذي سيقلب موازين القوى لغير صالح الحضارة الغربية التي تتمتع بالهيمنة الحالية على بقية الحضارات .
- وكرد فعل على المقالة السابقة والتي أثارت عاصفة من الجدل عادت فكرة ( حوار الحضارات ) ، للظهور كبديل لـ ( صراع الحضارات ) ، ولتكون وسيلة لتجنيب العالم ويلات الحروب والاقتتال .
- تقوم فكرة حوار الحضارات في أصلها على ( إيجاد بيئة دولية مستقرة على قاعدة الاحترام المتبادل والمساواة بين الثقافات والحضارات المختلفة ، مع الاعتراف بوجود تباينات فيما بينها ، ومن خلال ذلك يتم الاتفاق على مجموعة من الثوابت والمبادئ المشتركة ثم الانطلاق إلى حوار يؤمن بالتعددية وعدم هيمنة حضارة على أخرى ) .

فكرة ( حوار الحضارات ) من الناحية النظرية تقوم على مبادئ بعضها مقبول ، ولها أهداف محددة ، ويمكن للجميع المشاركة من حيث المبدأ للوصول إلى مبادئ مشتركة ، على عكس ( صراع الحضارات ) الذي يبنى على الهيمنة من قبل حضارة على غيرها من الحضارات ، والذي تمثل جليا في الواقع المعاصر بهيمنة الدول الغربية التي تتبنى ممارسات وسياسات تؤجج هذا الصراع .

مما سبق يتبين لنا أن الحوار يعد مبدأ أصيلاً من مبادئ الدعوة الإسلامية ، وأن أصل فكرة ( حوار الحضارات ) ينبني على قواعد مقبولة للحوار ، إلا أن الإشكالية في ( حوار الحضارات ) بصورته القائمة الآن ، أنه ليس حوارا مطلقا ، بل هو نظرية لها العديد من الأسس التي تحدد معالمها ، والتي بفهمها تضح لنا حقيقة
( حوار الحضارات ) في واقعه المعاصر ، ومن أهم تلك الأسس :

1. أن الغرب يرى بأن مصدر تقدم البشرية ينحصر في الجانب المادي ، ومن هذا المنطلق ينبغي أن تكون الثقافة الغربية هي الثقافة التي على أسسها ينبني الحوار .
2. غالبا ما ينحصر الحوار في مسائل الحريات العامة ، مع التركيز على حرية الاعتقاد ، وحرية المرأة ، وحرية الرأي ، وذلك وفق المفهوم الغربي للحريات ، دون النظر إلى الضوابط الشرعية التي تحكم هذه الحريات في الثقافة الإسلامية .
3. ( حوار الحضارات ) رغم أنه مبني على تساوي الحضارات من الناحية النظرية إلا أنه عند تطبيق هذا الحوار نرى نزعة عنصرية تجاه الحضارات المخالفة للحضارة الغربية ، وتأصيل للطبقية في تقسيم العالم إلى أول وثالث ، والنظرة الدونية

لثقافات العالم الثالث وما تشمله من إرث ثقافي وتشريعات دينية ، ليس للمسلمين فحسب ، بل لجميع لسائر الأمم التي تنطوي تحت الثقافة الغربية .

الإشكالية الرابعة هي أننا نرى أن المتصدرين لتمثيل المسلمين في ( حوار الحضارات ) ليسوا من المخولين لذلك ، إذ المخولين بالحديث عن الإسلام هم العلماء الراسخون ، بينما من يتم ترشيحهم من القوى الغربية أو غيرها للحديث باسم الإسلام ليسوا من هذه الفئة ، بل وقد لا يجدون قبولا من المسلمين أنفسهم ، فكيف يطلب من الأمة الإسلامية قبول نتائج حوار لم يمثلها فيه من نال الثقة من أفرادها عامة ؟؟ .

مع كثرة الدعوات للحوار إلا أننا في الواقع نجد العالم اليوم منشغل بالصراع أكثر من اهتمامه بالحوار ، فالساسة الذين بيدهم الأمر يكرسون الصراع واقعا ملموسا ، وحروبا تحصد الأرواح وتهلك الحرث والنسل ، وقد رأينا الحروب المتعددة التي أشعلت نارها في بلاد المسلمين ، بدأ من افغانستان وانتهاء بسوريا ، ولم يحفل العالم الغربي بالحوار مع خصومه في تلك البلاد ، وقد رأينا منهم في أماكن أخرى من العالم ، هبة سريعة وذلك حينما يتعلق الأمر بالنصارى المقيمين في تلك البلاد ، أو عندما تهدد مصالحهم السياسية والاقتصادية ، وهذا يؤكد عدم حرصهم على الحوار بقدر حرصهم على المصالح الخاصة بهم .

ومن جهة أخرى نرى دولا غربية تنادي بحوار الحضارات وهي تصادم الحضارات المخالفة لحضارتها ، ففي عام ( 2003م ) أصدرت فرنسا قانونا بحظر الحجاب في المؤسسات التعليمية ، بدعوى أنه رمز ديني يثير العنصرية ، ثم قانون بمنع الحجاب في الأماكن العامة ، وتبعها في ذلك بعض الدول الغربية ، مما يتعارض مع أبسط مبادئ الحرية المزعومة ، وهذا يدل على الشطط في الحكم والانتقائية في الحرية .

علاوة على ذلك ، تمسكهم بحرية الصحافة ودعمهم للصحف التي نشرت الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم ، في فرنسا وبلجيكا والدنمارك وغيرهم ، دون النظر في أن هذا الأمر يمس ثوابت الأمة الإسلامية ، لذا فهي حرية مكذوبة ترسخ حقيقة ( لصراع الحضارات ) لا لحوارها .

هذا كله يؤكد أن نظرية ( حوار الحضارات لم تتحقق في أرض الواقع ، لأن القوى المهيمنة على العالم والتي تمكنها قوتها من فرض هذه النظرية ، بعيدة كل البعد من الناحية الفعلية عن الرغبة الحقيقية في الحوار وتطبيقه ، فكيف يطلب منا رفع شعار ( حوار الحضارات ) بينما نراهم يكرسون لـ ( صراع الحضارات ) .

ومع كل ذلك ، فإن الإنصاف يقتضي أن نذكر بعض المفكرين الغربيين ، إضافة لتوجهات وتجمعات شعبية عامة يتبنون بصدق مبدأ ( حوار الحضارات ) ، ويدعون بصدق إلى اتخاذ الحوار اسلوبا ومنهجا لحل المشكلات ، ولكنهم قوة ذات تأثير محدود ، وليس لهم هيمنة على الثقافة الغربية .

لم تكن نظرية ( حوار الحضارات ) محل اتفاق بين علماء المسلمين ومفكريهم ، فمنهم :

- من رفض الفكرة من أساسها لعدم واقعيتها ، ولسان حاله يقول ، كيف سأتحاور مع من يهدم بيتي ؟؟ .
- من أعدها نوعا من التخدير للعالم العربي والإسلامي ، وذلك لإشغالهم بهذه المسائل في الوقت الذي يسلبون فيه خيرات بلادهم ، وتشن عليهم الحروب .

فريق آخر مؤيد للفكرة على الإطلاق ، وداع لها ، بغض النظر عن الواقع الحالي للأمة ، ظناً منهم أنها وسيلة لتحسين صورة الإسلام لدى الغرب ، وأنها الوسيلة الوحيدة الممكنة بين أيديهم ، ومن ثم دعوا لتغيير الخطاب الديني الإسلامي بحيث يكون مقبولا على المستوى العالمي عامة ، والغربي خاصة ، وربما بالغ بعضهم حتى وصل إلى صورة يمكن أت توصف بأنها ذلة وتبعية للأمم والحضارات الأخرى ، وانسلاخ من حضارة الإسلام .

والأصل عند المسلمين هو القبول بهذا المبدأ ، لما ذكرنا من قبل من أهمية الحوار ، فالحضارة الإسلامية هي الحضارة التي حين غلبت وسيطرت احترمت حضارات الشعوب الأخرى ، وحاورت أهلها ، ولم تفرض عليهم ديانتها ، بل اكتفت بمجرد العرض من غير إلزام ، واستفادت من تلك الحضارات وما عندهم من علوم نافعة .

المسلم لا يخشى الحوار ، غير أنه في حالة المساس بشيء من ثوابت الدين فليس لديه استعداد لتقبل رأي الآخر ، لأنه واقف عند قوله عز وجل : وقوله عز وجل : {{ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ }} .

فهذا هو الأصل عند المسلمين ، غير أن ما ذكرناه من واقع الحال في العالم قد يؤيد موقف الأولين الرافضين لهذا المبدأ الذي لا يطبقه أصحابه ، وإنما يسعون من خلاله لتفتيت قوة المسلمين ، وشغلهم عن قضاياهم الحقيقية .

فإذا كان المقصود من ( حوار الحضارات ) أن نسعى لإيجاد بيئة دولية مستقرة من خلاله ، كما هو تعريف الكثيرين لهذه النظرية ، وأن يتفهم الغرب مطالبنا ويعترف بحقوقنا ، ويتوقف عن الحرب علينا ، فإن الواقع اليوم لا يؤيد هذا ، من هنا ربما يترجح أن الدعوة إلى الحوار ليست إلا تخديرا للأمة ، لتشغل عن ما يدبر لها ، وإرغاما لها لقبول الأمر الواقع ، والرضوخ للإملاءات ، والله تعالى يقول : {{ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ }} .

وأما إذا كان المقصود من ( حوار الحضارات ) فتح الباب للحوار بين الدول والشعوب ، على كل المستويات ، لتُعرِف كل حضارة بنفسها ، وتعترف بوجود غيرها ، فهذا من اساسيات الدين وأصول الدعوة الإسلامية .

ومن هنا فلا مانع من الاستفادة من هذه النظرية ، في حال تحقق ما سبق ذكره من الرغبة الصادقة في الحوار ، وتمثيل المسلمين من قبل العلماء الراسخون في العلم الذين يمثلون الأمة الإسلامية تمثيلا صادقا .

كما يمكن الاستفادة من هذه النظرية في الدعوة إلى الإسلام ، واستغلال المؤتمرات التي تعقد من أجل هذه النظرية في بيان سمو تعاليم الدين الإسلامي وعدم تناقضها ، وكشف زيف الدعوة إلى حوار لا يحترم أطرافه ، ويسعى من خلالها إلى فرض الأمر الواقع .